مجلة كلية الدعوة الإسلامية

العدد التاسع عشر
2002

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1370 من وفاة الرسول ﷺ 2002 من ميلاد المسيح عليه السلام

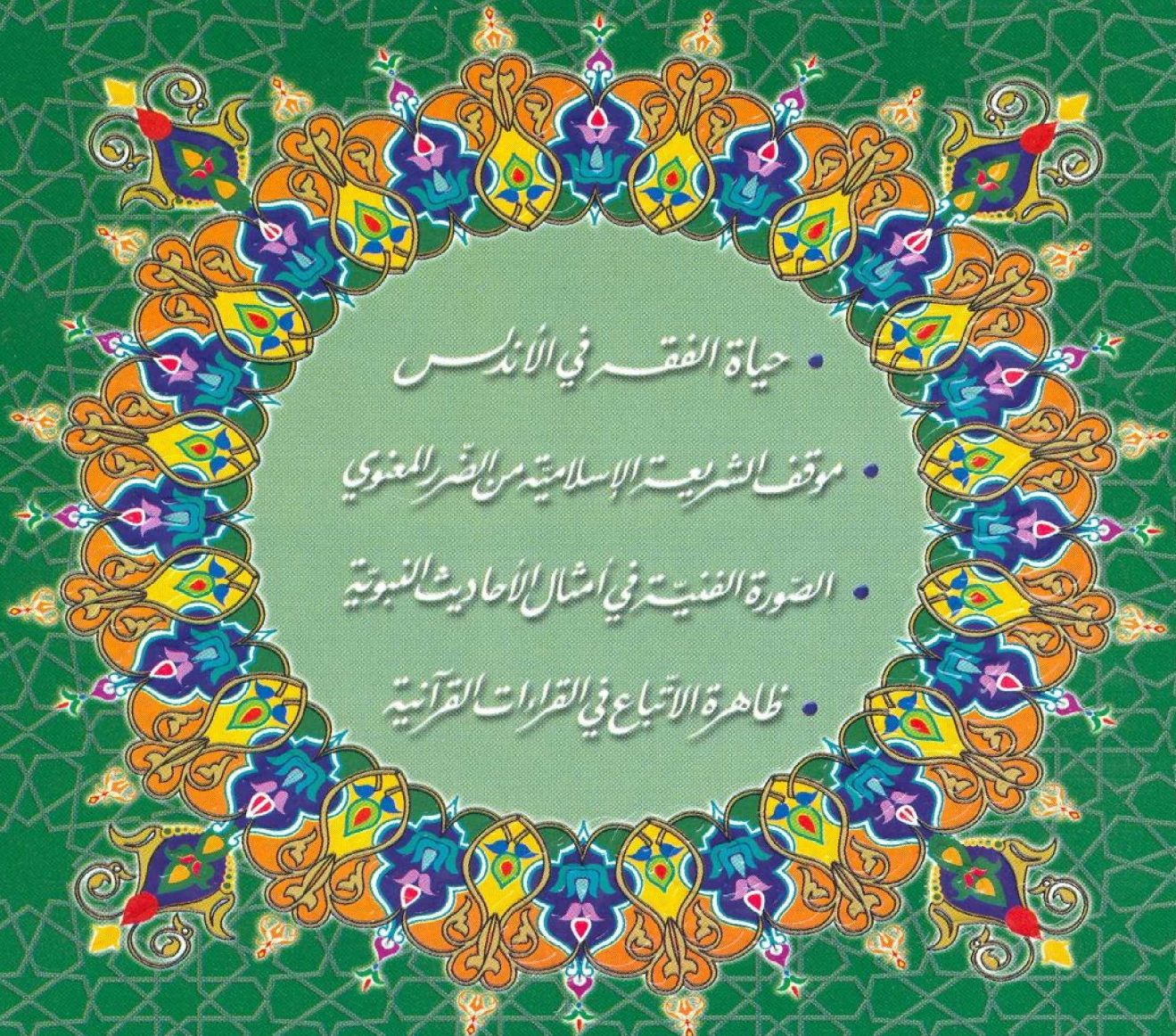

أ. علي الصّادق حُسْنَين

لست بحاجة لإعادة ما سبق لي إيراده عن الأصول العربية التي تنحدر منها أسرة «**داود أفندي**»، ولكن أرى لزاماً عَلَيَّ تبيان أن لفظة «**طوقد مير**» ـ التي تعني في اللغة التركية «**الحديد الصلب**» ـ لا تعدو كونها اللقب الذي أعطي لهذه الأسرة بُعَيد ثورة **مصطفى كمال أتاترك**. إنّ سعيداً ـ **واسمه الرسمي النعمان سعيد** ـ كان أصغر أشقائه وأحد حفدة **فريد باشا** الذي شغل في العهد العثماني الثاني وظيفة متصرف لواء الجبل الغربي ولواء الخمس، وكان مؤسس المسجد الجامع بالمدينة المذكورة الذي ما برح يعرف حتى الآن بجامع **الباشا**.

ولد **سعيد** في سنة 1906م بمدينة إسطنبول و ـ **تبعاً لعودة والده في سنة 1912م إلى طرابلس** ـ قيض للابن أن يعيش في ربوعها ردحاً من الزمن، وفيها أيضاً أتم مراحل تعليمه الابتدائي بمدرسة النيابة الرسولية ـ التي كانت قد أسستها

سعيد داود طوقديمير

البعثة الفرنشيسكانية سنة 1810 بشارع السبنيول في محلة باب البحر، التي بعيد الغزو الإيطالي الغادر أنيطت إدارتها بإخوان المدارس المسيحية.

كان **سعيد** من تلاميذها المسلمين القلائل، وقد تميز بذكائه واجتهاده وحسن سلوكه وأناقته وشديد حرصه ـ **بالأخص في المناسبات** ـ على ارتداء طربوشه ـ **الذي كان يسميه العامة** «الطاقية العصمالية». ولذا كان فعلاً محل إعجاب وافتخار مدرسيه الذين كثيراً ما كانوا يقدمونه إلى كبار الزوار، ويُكَلِّفونه بإلقاء كلمات الترحيب بالضيوف.

لقد ختم في هذه المدرسة المرحلة الابتدائية بتفَوُّق وتَصَدَّر إثر ذلك قائمة الناجحين في امتحان القبول في المدرسة الثانوية الإيطالية «**ليتشيئو جنازيو**» بطرابلس، كما اجتاز ـ **في منتصف عشرينيّات القرن الميلادي المنصرم وبتفوقه المعهود** ـ امتحانات التخرج من الشعبة العلمية.

وفي تلك الحقبة التي كادت تكون الملاحة الجوية فيها من العجائب كان **سعيد** تواقاً إلى أن يصبح طياراً، ولولا اعتراض والدته لانتسب دونما تردد إلى كلية الطيران في إيطاليا، ولا سيّما أنه نال النجاح في امتحان القبول، واجتاز شتى الفحوص الطبية واختبارات اللياقة البدنية. فنزولاً عند رغبة أمه وإرضاءً لها لم يكن له بد من اختيار مجال آخر. فقرر الانتساب إلى كلية الطب البشري بجامعة روما.

وهكذا شهدت سنة 1927 مغادرته حبيبته طرابلس بمن فيها من أقرباء وأصدقاء وخُلاَّن. وفي الكلية المذكورة تسنى له ـ **لحسن حظه** ـ أن يتتلمذ على

نخبة من أمهر الجراحين، الذين كان على رأسهم الأستاذ **فرغوني**، الذي لم يُخْفِ إعجابه بتلميذه المشرقي **سعيد**، فاصطفاه ضمن زمرة الطلبة المقربين، وظلت تربط بين الرجلين روابط مهنية وعلائق إنسانية وُدِّية على مدى الحياة.

محمد داود أفندي

إن سنوات دراسة «**سعيد التركي**» ـ **كما كان يسميه مدرسوه وزملاؤه** ـ في العاصمة الإيطالية كانت حبلى بالمغامرات التي شاعت أخبارها في الحرم الجامعي وخارجهُ ولا سيما في النوادي الرياضية التي كان يرتادها؛ إذ اشتهر بالفتوة من جراء قصته الغرامية مع طَالبة كانت تدرس بكلية الصيدلة، وشاءت الأقدار أن تبادله مشاعر الحب، وأصبحت في خاتمة المطاف ـ **كما سنرى** ـ رفيقة عمره وشريكة حياته وأم بناته.

كانت تنحدر هذه الفتاة من أسرة إتروسكية عريقة محافظة، وكان والدها عقيداً طبيباً في الجيش، وكان بعض أعمامها من ذوي النفوذ والمناصب الحكومية الرفيعة. فبطبيعة الحال لم تكن أسرتها جمعاء راضية بتلك العلاقة الحميمة بين ابنتها وذلك الشاب المسلم، الجريء العنيد، الذي كان يصر على ملاقاة حبيبة قلبه محروساً بعصبة من أخلص زملائه الجامعيين. وكثيراً ما كان يتعرض هؤلاء الفتية معه للتهديد والوعيد و ـ **أحياناً** ـ للضرب أيضاً جراء دفاعهم عن زميلهم المسلم ومناهضة منهم للتمييز العنصري والديني الذي كان ضحيته. ومما يجب استرعاء الانتباه إليه أن إيطاليا كانت تعيش وقتئذ عنفوان الثورة الفاشيستية بزعامة الطاغية **بينيتو موسوليني**.

هذا وفي سنة 1933 ختم **سعيد** تحصيله الجامعي وتخرج طبيباً جراحاً

فانقطعت منذئذ صلته بطرابلس بعد أن اعتاد التردد عليها في أثناء العطلات الصيفية؛ لأجل زيارة شقيقته وصهره الشيخ مصطفى ذهني الكمبازي، وكذلك للقاء أصدقائه من شلة «حوش السلعة» بشارع قوس الصرارعي، العائد لعائلة بن ضو التي كانت من أشهر سكان محلة كوشة الصفار.

فكان سعيد يشاطر هذه الشلة في جلسات «الهدرزة والسمر وشرب الشاي الأخضر» التي كانت تعقد في الحوش المذكور، وكان يشاركها في «الزردات»[1] التي تنظم في ضاحية سكره بمنشية طرابلس وفي «رأس المول» حيث كان يستمتع بالسباحة في المياه العميقة خارج حوض ميناء المدينة، ويشارك في سباقات الغوص ومقاومة شدة تيارات «البوغاز».

ومن الجدير بالذكر أن صاحبنا قد بلغ مرامه قبل مغادرته الديار الإيطالية نهائياً؛ إذ عقد على فتاة أحلامه، واصطحبها إلى مسقط رأسه، علماً بأنها أتمت هي الأخرى تحصيلها ونالت شهادة في الصيدلة، واستطاعت بمشقة أن تعيش في البيئة الجديدة، وأنجبت ثلاث بنات، وكانت له خير سند في الحياة، وعاشت بعده نحو عشر سنوات.

وبما أن عودة الفقيد إلى تركيا قد تزامنت مع استفحال الثورة الكمالية لم يفتأ أن صادفته ظروف صعبة للغاية بسبب زواجه من أجنبية.

وعلى الرغم مما كان له من أقرباء أُولي نفوذ لاقى شتى المعاكسات والعراقيل إذ باء بغضبهم جميعاً. وأسوة بأي مواطن آخر كان عليه أداء الخدمة العسكرية الإلزامية على أثر عودته النهائية من الدراسة، لكن سعيداً استدعي إلى هذه الخدمة على فترات متقطعة ـ من باب العقاب ـ وكان يُقصى إلى دواخل الأناضول بهدف التفريق بينه وبين قرينته التي كان عليها في كل مرة البقاء مع بنتيها بإسطنبول، حيث تمكنت من الحصول على وظيفة مديرة لإحدى الصيدليات.

---

(1) الزردات: جمع زردة، وتعني في العامية الليبية قضاء يوم في الريف أو البحر مع مجموعة من الأصدقاء ينعمون فيه بالراحة والأكل والشرب، بعيداً عن المنزل وضوضاء المدينة. ولعلها من الزَّرِد من الطعام وهو اللين السريع الانحدار.

وعندما خيم شبح الحرب العالمية الثانية في سنة 1939 لزمت الجمهورية التركية ـ كما هو معروف ـ الحياد، ولكنها ظلت في شبه حالة طوارئ؛ إذ وضعت قواتها المسلحة في حالة استنفار ونشرت بعض وحداتها على حدودها الدولية.

في تلك الظروف قد استدعي الملازم طبيب سعيد إلى الخدمة العسكرية وكان عليه التوجه مع الجيش العاشر صوب مدينة أدرنه الواقعة على الحدود البلغارية في قلب البلقان.

ولحسن حظه كان آمر كتيبته الصحية العقيد طبيب عبد السلام الكولوغلي، الليبي الأصل الذي يخبرنا عنه زميله قائلاً: إنه من سكان المدينة القديمة حيث كان يقطن في بيت مستأجر من عائلة الياجزي أو عائلة باشاغا في زنقة بوعون بمنطقة الأربع عرصات.

إن معرفته به ترجع إلى شتاء عام 1940/ 1941م حين كان الاثنان بمدينة أدرنة.

ومن باب المصادفة أنْ كان هذان الطبيبان مولعين بهواية البحث التاريخي المتعلق بالشؤون الصحية وغير الصحية في البلاد الليبية. ولما لمس العقيد عبد السلام ذلك الولوع في رفيقه في السلاح وزميله في المهنة لم يكتمه اغتباطه وسروره. وهكذا نشأت بينهما صداقة لم تشبها شائبة، وعلى أثر ذلك ظل يشهد منزل الدكتور الكولوغلي ـ في ذاك المناخ القارس ـ مساء كل يوم خميس مسامرات ومحاورات تاريخية وولائم رومانطيقية على ضوء شمعة أو ضوء «كازة» (أي فانوس يعمل بالكيروسين)، إذ يبدو أن ظروف الاستنفار ـ ومعارك الحرب الكونية الثانية القائمة في أوروبا ـ كانت تحتم التعتيم وتحول دون استعمال وسائل الإضاءة العادية.

هذا وجدير بالملاحظة أن العقيد عبد السلام قد انفرد ـ بين زملائه ـ باصطحاب زوجته معه في تلك الربوع البلقانية، وبفضل حذق السيدة قميرة (هكذا كانت تدعى هذه المرأة) كانت تقدم على هامش المسامرات العلمية أشهى المآكل الطرابلسية دون سواها.

ولعله من المفيد الإشارة إلى أنه، علاوة على العقيد طبيب عبد السلام الكولوغلي، كان ضمن طبقة كبار الضباط بأدرنه في تلك الحقبة ثمانية عشر (18) ضابطاً ليبي الأصل من جملتهم خمسة (5) برتبة لواء، ولكنهم كانوا يعملون كلهم إمّا بسلاح المشاة أو بسلاح المدفعية.

لقد عُرِفَ عبد السلام الكولوغلي بدماثة الأخلاق وبنبله وعطفه على الفقراء؛ إذ كثيراً ما كان يأخذ بزمام المبادرات الخيرية، وكان دائماً في مقدمة المتبرعين لصالح المعوزين والمنكوبين.

إن وفاته المفاجئة سنة 1954 كانت فاجعة بالنسبة إلى جميع أصدقائه وزملائه في العاصمة التركية أنقرة. ففيما كان يهم بمغادرة داره ذات يوم لحضور اجتماع مهني يعقده جمع من الأطباء قال ـ وهو يودع شريكة حياته ـ إنه يشعر بتردي حاله، فارتمى على الفور بين ذراعيها جُثّةً هامدة. إن ذكر هذا الرجل الشهم كان ـ على حد قول الدكتور سعيد ـ بمنزلة تلاوة سورة الفاتحة على قبره ترحماً على روحه الطاهرة.

هذا ولما وضعت الحرب المذكورة أوزارها وارتفع الخطر عن تركيا، سُرح الملازم سعيد من الخدمة العسكرية، وعاد إلى ممارسة مهنته في جو مخنق مؤرق مقلق كان في واقع الأمر لا يروق له ولا يرتاح إليه.

وبعد نحو عقدين من المتاعب والمشاق انفرج كربه عندما عُرض عليه في عام 1953 العمل في ليبيا مع برنامج النقطة الرابعة؛ وذلك للمشاركة في حملة مكافحة الدرن. فجاء إلى طرابلس وباشر عمله طبيباً منتدباً في المستوصف الواقع بنهاية شارع حومة غريان على مقربة من الباب الجديد في طرف المدينة القديمة التي كان يعشقها. وهناك ظل يؤدي عمله الإنساني بأمانة وإخلاص، فسرعان ما ذاع صيته بين الأهلين، ولم يلبث أن طلبته حكومة ولاية طرابلس من برنامج النقطة الرابعة الذي تنازل لها عنه.

وبفضل بعض أصدقائه ومعارفه القدامى الذين أصبحوا من ذوي الوظائف بل المناصب الحكومية أسندت إليه إدارة الخدمات الصحية بالولاية، وذلك خلفاً

لمديرها البريطاني، وصار في هذه الوظيفة محل احترام وتقدير العاملين في قطاع الصحة العامة ولقي منهم كل تعاون وتفاهم.

غير أن ما جبل عليه من صدق وإخلاص ومصارحة وغيرها من الخصال الحميدة قد أدى به فيما بعد إلى التصادم مع بعض الجهات الرسمية، بحيث انتهى به الأمر إلى الاستقالة. ولكن لم يثنه ذلك عن البقاء في البلاد ومواصلة رسالته الإنسانية النبيلة واكتفى ـ **في السنوات الأخيرة من عمره** ـ بمزاولة مهنته لدى مؤسسة الضمان الاجتماعي وفي عيادته الخاصة.

إنه كان يعتبر مهنته رسالة سامية واجبة الأداء في سبيل المفتقرين للرعاية الطبية دونما اعتبار لعقيدتهم أو عرقهم أو لونهم. لقد أوقف الفقيد حياته على رعاية أسرته وممارسة الطب ونشاطه الفكري: الأمر الذي جعله جديراً بتقدير من كان يعالجهم، ولم يضن عليهم بعنايته ونصائحه وتوجيهاته وحنانه واحترام المعجبين به ممن كانوا يتابعون مقالاته القيمة الممتعة، ويقبلون بشغف على قراءتها.

ومما يكتسي أهمية خاصة الجانب الأدبي من إنتاجه، وذلك ليس فقط لسلاسة أسلوبه، وثراء تحليله التاريخي، ودقة وصفه لمختلف العادات والتقاليد المحلية التي ينطوي عليها كثير من مقالاته، ولكن لإعطائه أيضاً صورة حية زاهية جميلة لأوجه النشاط الدائب الجاري في ربوع المدينة القديمة بطرقاتها الضيقة وأزقتها، الملتوية المظلمة، وعقودها المتلاحقة.

إن ما كتبه الدكتور **سعيد طوقدمير** من حكايات وأقاصيص وصفية ليشكل وفرة من الوثائق الفريدة في نوعها؛ لأنها تتناول حقبة زمنية كانت تعج بشتى المظاهر الفولكورية والرومانطقية؛ إذ كانت البلاد خلواً مما هو متوفر بها في الوقت الحاضر من وسائل ترفيهية عبر الإذاعتين المسموعة والمرئية والإنترنت، وهي وسائل أضحت تلهي الناس ليل نهار، وبقدر ما لها من محاسن وفوائد لتنطوي على مساوئ ومضار: إنها في الحقيقة سلاح ذو حدين.

ومن هنا يبدو جلياً أن شهرته تجاوزت المجال الطبي؛ إذ من خلال ما

كتبه برهن على أنه صاحب قلم سيال، وباحث تاريخي مثابر، ومحاضر كفء من شأن أسلوبه الأدبي أن يشد قراءه ويأسر مستمعيه، مع العلم بأنّ جُلَّ مقالاته قد نشرها المرحوم الأستاذ محمد المرابط في صحيفته «الجرنالي دي تريبولي»، وفضلاً عما سبق ذكره كانت له مقالات تناول فيها بعض أعلام العلم والمعرفة من شرقيين وغربيين.

ومما يؤسف له حقاً أن الدكتور سعيد ظل ـ في السنوات القلائل الأخيرة من عمره ـ كئيباً مثبط العزم جراء العرَج الذي أصابه في أعقاب حادث مرور مروِّع راح ضحيته بمدينة طرابلس. هذا ومن أدبائنا الأجلاء الذين أعجبوا بنشاطه الفكري، وأثار في نفوسهم الاهتمام، الأخ العزيز الأستاذ علي مصطفى المصراتي، الذي تسنت له معرفة الفقيد عن قرب، والذي أفرد له فصلاً من كتابه «نماذج في الظل». وممن أسهموا في التعريف ببعض مقالاته المرحوم الأستاذ أحمد راسم محمد قدري الجزيري، الذي تولى نقل بعض منها إلى العربية، وعني بنشرها في مجلة «الأفكار»، التي كانت تصدرها جمعية الصداقة الليبية التركية، وكان هو رئيس تحريرها. كما اضطلع الصديق المرحوم الأستاذ محمد بن صوفية بالتعريف ببعض مقالاته الأخرى عبر برامج الإذاعة المسموعة المحلية.

إن مقالات الدكتور سعيد قد وجدت متسعاً كذلك في صحيفة «الكريبري ديلي إيطالياني» (ساعي الإيطاليين) وفي صحيفة «جمهوريت» (الجمهورية) اللتين كانتا تصدران بإسطنبول، علماً بأن الفقيد كان يتقن ـ علاوة على الإيطالية ـ اللغات التركية والفرنسية والإنجليزية، مع إلمامه باللغة اللاتينية والإغريقية القديمة، وبقليل من العربية. أما اللهجة الطرابلسية فكان يتحدث بها بطلاقة كأحد أبنائها.

ومن هواياته كانت السباحة والرسم والبستنة؛ إذ كانت له حديقة في منور بيته بشارع بيروت، تفيض بأنواع من الزهور ونباتات الزينة الأخرى. إنه كان خفيف الروح حاضر النكتة محباً للمزاح، دقيق الملاحظة.

فحين عاد إلى طرابلس بعد 27 سنة تنبه إلى التطور الذي شهدته لهجتنا في أثناء غيبته، تبعاً لقدوم عناصر بريطانية ومصرية وفلسطينية إلى ليبيا مع وحدات الجيش الثامن الذي هزم القوات الإيطالية الألمانية المتحالفة، وطردها من البلاد إلى غير رجعة. ولذا قد اختفت مع مرور الزمن بعض الألفاظ من لهجتنا وحلت محلها أخرى: الأمر الذي لم يغب عن فطنة الدكتور سعيد ـ رحمه الله ـ إذ لاحظ في أغلب الأحوال استعمال لفظة «شكراً»، أو مع الشكر بدلاً من «صَحّيت» و«بريد» بدلاً من «بوسطه»، و«سيارة» بدلاً من «كرهبة»، وصيدلية بدلاً من «سبيسارية»، ومستشفى بدلاً من «سبيتار»، و«مستوصف»، بدلاً من «نفيرميرية»، و«ممرض» بدلاً من «نفيرمييري»، و«ثكنة» بدلاً من «كازيرما»، و«محامي» بدلاً من «أبوكات» و«جواز سفر» بدلاً من «باصابورت»، و«بطاقة» بدلاً من «تيسيرا»، و«صندوق» بدلاً من «كاسّا»، وممنوع بدلاً من «يساق».

إن مقالاته الدالة على ثقافته الموسوعية شملت مواضيع تاريخية واجتماعية وعلمية جمع أسلوبها بين الخفة والطرافة، وجاءت بلغة إيطالية سليمة أنيقة مثيرة للإعجاب.

وإن أروع ما خدم به الثقافة محاضراته التي كان يُستضاف لإلقائها في «نادي إيطاليا» وفي «المركز الثقافي الإيطالي»، بطرابلس، وكثيراً ما كان يتناول فيها مواضيع لها صلة وثيقة بالتراث الإسلامي، ودور الحضارة العربية والإسلامية في مجرى التاريخ.

لقد كتب ـ **على سبيل المثال** ـ عن:

1 ـ الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا،

2 ـ طبيب المسلمين أبي بكر محمد بن زكريا الرازي.

3 ـ الفلكي أبي عبد الله محمد البتاني.

4 ـ الفيلسوف أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد.

5 ـ جابر بن حيان العالم الكيميائي مخترع الأمبيق.

6 ـ المنجم محمد بن موسى الخوارزمي.

7 ـ الرحالة الشريف أبي عبد الله الإدريسي والملك روجار، وهو عرض لمحاضرة ألقاها المستعرب الإيطالي الأستاذ **أومبيرتو ريتسيتانو**.

8 ـ المؤرخ الفيلسوف أبي زيد عبد الرحمن بن خلدون.

9 ـ الفلكي أحمد أبي عباس الفرغاني.

10 ـ زكريا الفرناسي الملقب **بأبي ريشة** صاحب المحاولة الفاشلة الأولى للتحليق في الجو.

11 ـ أبي اللغة الإيطالية وأمير شعراء إيطاليا دانتي أليغييري.

12 ـ العالم الفنان ليوناردو دافينتشي، الذي كان **الدكتور سعيد** مولعاً بآثاره.

13 ـ المصور النحات ميكيلانجليو بوناروتي.

14 ـ مراد آغا ملك تاجوراء.

15 ـ الرئيس طورغود باشا.

16 ـ قلعة طرابلس.

17 ـ أين موقع مدينة أوية؟

18 ـ فن التداوي.

19 ـ السلفيوم النبات الليبي الشهير.

20 ـ الطب في نوادر المزاح.

21 ـ الألفاظ التركية والإيطالية في اللهجة الطرابلسية.

22 ـ الألفاظ العربية والفارسية والتركية في اللسان الإيطالي.

23 ـ الأسر الطرابلسية.

24 ـ دار الصناعة في طرابلس.

25 ـ العلاّمة الشيخ عبد الرحمن البوصيري، الذي خصه بموضوع يتسم بالطرافة، عنونه بما معناه «**على مشارف الغيب: ما لا يعرفه كل الناس عن الشيخ عبد الرحمن البوصيري**» ونشر في عدد يوم الثلاثاء 26 مارس 1968 من الصحيفة الآنف ذكرها. لقد سلط فيه الكاتب الضوء على موهبة كان

يتحلى بها هذا العلامة الجليل، ولا يعلمُ بها عدا قلة من المقربين إليه، علماً بأن الشيخ عبد الرحمن كان صديقاً حميماً لمحمد داود أفندي رحمهما الله، وبأنه كان موهوباً بفراسة حادة وبصيرة نافذة.

فيروى أنه حالماً كان يلقي نظرة على سفرة من الأرغفة، أو على صحن به حفنة من «البتش» مثلاً نطق على الفور بعددها، وأن عدها وإحصاءها من بعد كان يؤكد صواب فراسته. إنه لأمر عجاب كثيراً ما كان يذهل المطلعين عليه ويثير حيرتهم.

وقد روى لي والدي ـ رحمه الله ـ إنه كانت له تجربة شخصية مع هذا العالم الجليل الذي كان هو أيضاً من سكان محلتنا؛ إذ كان بيته في شارع ميزران على مسافة قصيرة من بيتنا.

هذا وإن الدكتور سعيد كان يبدو في آخر أيامه بحالة صحية عادية ولم يَشكُ من سُقم أو توعك، إلى أن لبَّى نداء ربه سبحانه وتعالى ـ بصورة مفاجئة ـ بعد منتصف ليلة 4 ربيع الأول سنة 1390هـ الموافق للتاسع من شهر مايو 1970م فكان نبأ رحيله مدعاة لحزن وأسىٰ ذويه وأصدقائه ومحبيه تغمده الله برحمته وأسكنه فراديس جنته آمين. وقبل أن أختتم حديثي اسمحوا لي بأن اقتبس من الكلمة التي أبَنَّته بها صحيفة «الجرنالي دي تريبولي» ونشرتها في عددها رقم (54) ـ السنة العاشرة ـ الصادر في 14 مايو 1970 وقد ورد فيها ما يلي: «لم يعد الدكتور سعيد داود طوقد مير يكون ـ ويا للأسف ـ بين ظهرانينا! كان من شأن نبأ وفاته أن هزَّنا وغمر قلوبنا أسفاً وحزناً. إنه كان من أنشط المتعاونين مع صحيفتنا، وذلك فضلاً عن كونه صديقاً عزيزاً علينا، طالما قدرنا نقاء سريرته وثراء ثقافته وأسلوب تعامله مع الناس بكل عفوية ولطف. لقد تسنت لنا معرفة الفقيد من خلال سجاياه المهنية كطبيب ماهر، كان يرى في مزاولة الطب رسالة من الواجب أداؤها في سبيل المحتاجين لخدماته.

لقد كرس الدكتور طوقدمير حياته لمهنته وأسرته وللبحث العلمي والإنتاج الأدبي، وإن نشاطه قد جعله جديراً بالشهادات الفخرية التي نالها، بالإضافة إلى شتى ألوان الاعتراف والتقدير الأخرى التي كانت تأتيه مباشرة ممن عرفوه

شخصياً، وممن كان يعالجهم، ولم يبخل عليهم برعايته المتواصلة وحنانه المستمر، وممن كانوا يتابعون ويقرأون بحوثه القيمة ومقالاته الشيقة، التي كانت تنشر في صحيفتنا.

ومما يكتسي أهمية خاصة أعماله الأدبية ليس فقط لسلاسة أسلوبها، ولكن لعوامل أخرى أيضاً من بينها غناء تحليلها التاريخي، ودقة وصف العادات والتقاليد المحلية التي انطوى عليها كثير من مقالاته.

كان استلامنا لآخر إنتاجه قبيل وفاته بأيام قلائل، وسنعمل على نشره على حلقات في أعداد مقبلة.

وعلى أثر تخرجه غادر أيطاليا إلى تركيا حيث أخذ يزاول مهنته ويواصل ـ في الوقت ذاته ـ دراسته بجامعة إسطنبول حتى تخرج بعدئذ متخصصاً في الجراحة. ونال في 1942م زمالة الكلية الدولية للجراحين.

وجدير بالذكر أن جمعية «دانتي آلييغيس» منحته مؤخراً «دبلوم الاستحقاق» مع الوسام الذهبي «(انتهى الاقتباس)».

وختاماً لعله من المفيد إيضاح أن الدكتور سعيد عاش بمدينة طرابلس ردحاً من الزمن في فترتين متباعدتين متباينتين هما: فترة صباه إبان الحكم الاستعماري الإيطالي، وفترة كهولته التي عاد فيها إلى البلاد وهي دولة تنعم بالحرية والاستقلال.

وعلى الرغم من أنه كان ـ رسمياً ـ من رعايا الدولة التركية فقد يجوز اعتباره، إلى حد ما، من أبناء هذه الحاضرة التي عشقها وكتب عنها كثيراً، وتربطهُ ببعض أهاليها وشائج النسب والقرابة وعلائق المودة والصداقة؛ ولذا فإنه يندرج عن جدارة ـ في عداد البحاث الأجانب الذين أبدوا اهتماماً خاصاً بتاريخ ليبيا، وألفوا فيه وحرروا عنه شتى المقالات متوخين النزاهة والتجرد أمثال: إسماعيل كمالي وعبد القادر جامي، وغاسبري ميسانا، وإيتوري روسي، وصالفاتوري بونوا، وأنجيلو ديل بوكان، وإيريك ساليرنو، وأمين الطيبي، وأحمد صدقي الدجاني.